﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾ [التَّوبة: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقة بين جزاء الكافرين، وقبول توبة مَن شاء، لله ربِّ العالمين

لمَّا ذكر اللهُ تعالى في الآيات السَّابقة، ما جرى على الكافرين مِنَ الخُذلان، بقتلهم وأَسْرهم، وأَخْذِ أموالهم، وسَبْي ذراريهم، بقوله: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ جزاءً وفاقًا لكفرهم، جاءت هذه الآية لتُبيِّن أنَّ الله ﷻ تفضَّل عليهم، بأن وفَّقهم للإسلام، وأزال دواعيَ الكراهيةِ مِن قلوبهم. وممَّا يُذكَر في المناسبة أيضًا، أنَّه لمَّا بيَّن اللهُ سبحانَه في الآية السَّابقة أنَّ العذابَ هو جزاءُ الكافِرينَ المعدُّ لهم، في قوله ﷻ: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ بيَّن هنا أنَّه يتوبُ على مَن يشاءُ منهم، هم وكُلُّ مَن عَلِمَ اللهُ تعالى منه قابليَّةَ الإيمانِ، وإنْ كان شديدَ الكُفْرِ عظيمَهُ، فقال جلَّ وعلا: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتُوبُ﴾: (التَّاءُ والواوُ والباءُ): تدلُّ تصريفاتُهُ على معنى الرُّجوعِ، تقول: تابَ مِن ذَنْبِه؛ أي: رجع عنه[2]، وأصلُ التَّوب: تركُ الذَّنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوهِ الاعتذار؛ لأنَّ الاعتذار على ثلاثة أوجهٍ؛ منها: فعلتُ وأسأتُ وقد أقلعتُ، وهذا المعنى موافقٌ لمعنى التَّوبةِ في الشَّرع؛ لأنَّها تعني: تَرْكَ الذَّنب لِقُبْحه، والنَّدمَ على ما فَرَطَ منه، والعزيمةَ على تَرك المعاودة، وتداركِ ما أمكنه أن يتدارك مِنَ الأعمال، بالإعادة على وجهها الصَّحيح[3]، وتابَ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/427.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (توب).
(3) الرَّاغب، المفردات: (توب).

العَبْدُ إلى اللَّهِ تعالى: عادَ إليه بالطَّاعَةِ بعدَ المَعْصيَةِ[1]، وتَوْبَةُ اللَّهِ سبحانَه على العِبادِ، الواردَةُ في قولِه ﷻ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، تعني: الرُّجوعَ إليهم بالهدايةِ إلى الإسلامِ، والمَغْفِرَة لذنوبِهم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

توبةُ اللهِ مِن بعدِ الهزيمةِ والنَّكالِ، على بقايا هَوَازِنَ في هدايتهم إلى الإسلام

بيَّنت هذه الآيةُ تفضُّلَ اللَّهِ ﷻ، بتوفيقِ مَن يشاءُ، فَيَهْديه إلى الإسْلامِ، ويَقْبَلُ منه إنابتَهُ وَتَوْبَتَهُ، مِن بَعْدِ عذابِهِ الذي نزل بِهِ في الدُّنيا، واللَّهُ سبحانَه يستُرُ ذَنْبَ مَن تابَ إليه، ويتجاوَزُ عنه؛ رَحيمٌ بِهِ فلا يُعَذِّبهُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ، ولا يُؤاخِذُهُ بِهِ بعْدَ إنابَتِهِ[3]. والسِّياق يذكر هنا التَّوبةَ على مَن بقي مِن قبائل هَوازِنَ، فيهديهم إلى الإسلام، وقد قَدِموا على رسول الله ﷺ مُسْلِمين، ولَحِقوا به في مكَّة، في مكانٍ يُعْرَف بالجِعرانة، وذلك بعد الموقعة بعشرين يومًا[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ ﴿ثُمَّ﴾ في الآية:

شَتّانَ ما بَيْنَ الكُفْرِ المُفضي إلى العَذابِ، والتَّوْبَةِ الموسومةِ بالمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ

حَرْفُ العَطْفِ ﴿ثُمَّ﴾ مِنْ قول اللَّهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، عَطَفَ هذه الجملةَ على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، وهو دالٌّ على التَّراخي الرُّتْبيِّ[5]، وذلك للإشارة إلى إسلام هَوازِنَ، بعد تلك الهزيمة النَّكراء الَّتي أصابتهم، وجاؤوا لرسول اللَّه مسلمين تائبين، وفيه إيماءٌ إلى البُعْدِ ما بينَ الكُفْرِ المتوعَّدِ عليه قَبْلُ، والتَّوبَةِ الجالِبَةِ رحمةَ اللَّهِ سبحانَه ومغفرتَهُ[6].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (توب).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (توب)، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 332، والهرريّ، حدائق الرَّوْحِ والرَّيحان: 11/200.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/190، ونخبةٌ مِنَ العلماء، التَّفسير المُيسَّر، ص: 191.
(4) حومد، أيسر التَّفاسير، ص: 1263.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/158.
(6) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3269.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالْفِعْلِ المُضارِعِ:

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، جاءَ فيه التَّعبيرُ عَنْ توبةِ اللّهِ سبحانَه على مَن يشاءُ بالفِعْلِ المُضارعِ؛ للإيماءِ إلى تجدُّدِ التَّوبَةِ على كلِّ مَنْ صَدَقَ في توبَتِهِ إلى اللّهِ سبحانَه، ولا يختصُّ ذلكَ بهَوازِنَ، وذلكَ لأنَّ توبةَ هوازنَ، قَدْ عَلِمَها المُسْلِمونَ، فكانَ مقتضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (ثُمَّ تابَ اللّهُ مِنْ بعد ذلكَ)، إلَّا أنَّه عُدِلَ عَن ذلك، لِلْإِعْلامِ بأنَّه سبحانَه يُعامِلُ بمِثْلِ ذلكَ كُلَّ مَن تابَ وأنابَ إليهِ[1]، وفيه إشْعارٌ بأنَّ ما وقعَ في حُنَيْنٍ، مِن إيمانِ أكْثَرِ مَن بَقيَ مِنَ الذين غُلِبوا؛ سيقَعُ مثلُهُ، وشواهِدُ الحالِ تُؤيِّدُ ذلكَ؛ فإنَّهُ ما مِن حربٍ مِن حروبِ المسلمينَ الدِّينيَّةِ المَشْروعَةِ إلَّا كانَ مآلُها كذلك[2]، ويُضاف إلى ذلك أنَّ التَّعبير بالفعل المضارع، يدلُّ على امتداد زمن التَّوبة في الحال والاستقبال، وهذا دليلٌ على حُبِّ اللّه تعالى لتوبة عباده، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الغرض هو تحصيل التَّوبةِ مِن غير تقييدٍ بزمنٍ ترغيبًا فيها، فبابُ التَّوبة لا يُغْلَق حتَّى تطلع الشَّمسُ مِن مَغربها.

عُمومُ تفضُّلِ اللهِ بالتَّوبة على كُلِّ مَن أخلص له الأَوْبَةَ

دلالَةُ تَعْريفِ المُسْنَدِ إليه بِالْعَلَميَّةِ:

عُرِّفَ المسنَدُ إليه بالعلَميَّةِ في قولِ اللّه سبحانَه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾؛ لبيانِ عَظَمَةِ هذِهِ التَّوبَةِ وشرَفِها، إذْ هي توبَةٌ مِن عندِ مَن لَهُ صفاتُ الجَلالِ والجَمالِ والكَمالِ، وله الإحاطَةُ عِلْمًا وقُدْرَةً، وما يَصْدُرُ مِنَ العظيم عظيمٌ[3]، وعَظَمَة الخالقِ أنَّه يفتح البابَ دائمًا لعباده، وهذه مسألةٌ منطقيَّةٌ؛ لأنَّ الذي يَكفر، والذي يَعصي، لا يَضُرُّ اللّهَ شيئًا، ولكنَّه يُؤذي نفسَه، ويحاولُ أن يَفتريَ على نواميس الحقِّ، وحين يعلمُ العاصي أنَّه لا مَلْجَأ له إلَّا

عَظَمَةُ تَوْبَةِ اللهِ سبحانَه؛ لِصُدورِها مِنَ العَظيمِ ﷻ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/159.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 10/221.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/427.

اللّه، فاللّه ﷻ يفتح له بابَ التَّوبة على مِصْراعيه؛ ليعودَ إلى مولاه، ويلتزمَ نورَه وهُداه[1].

نُكْتَةُ الإِظْهارِ في مَوْضِعِ الإِضْمارِ:

توبَةُ اللهِ تعالى على العِبادِ، مِن فواضلِ كَرَمِه المعتاد

قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، فيه إظْهارٌ في مَوضِعِ الإضْمارِ، وذلك لأنَّ مقتضَى الظَّاهِرِ أَن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (ثُمَّ يتوبُ مِنْ بَعْدِ ذلكَ علَى مَنْ يشاءُ)، بإسْنادِ فِعْلِ التَّوبَةِ إلى الضَّمير المُستَتِر فيه؛ وذلكَ لتقدُّمِ ذِكْرِ الاسمِ الأعظم (اللّه)، في قوله سبحانَه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾، وعُدِلَ إلى الإظْهارِ: تعظيمًا لشأْنِ هذِه التَّوبَةِ.

دلالَةُ ﴿مِنۢ﴾ في الآية:

أَثَرُ تَنَوُّعِ دِلالاتِ حُـروفِ المَعـاني في إِثْـراءِ ما في الـقـرآن من المَعاني

﴿مِنۢ﴾ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾، أفادَتْ مَعْنَيين؛ أحدُهُما: تَوْكيدُ المعنى وتَقْويَتُهُ، وهذا هو المعنى الغالبُ على (مِنْ) الواقِعَةِ مَعَ (قَبْلُ) و(بَعْدُ)، والآخَرُ: الإيماءُ إلى أنَّ توبَةَ أحدٍ مِنَ العبادِ، لا يُمْكِنُ أن تستغْرِقَ الزَّمانَ المستَقبَل المُشارَ إليه بـ (بَعْد)[2]، وتحديد الزَّمن بالبَعْديَّة، دليلٌ على أنَّ التَّوبة كانت بَعْدَ تلاحق الأحداث، وأنَّها فُرِضَت عليهم فرضًا، وأنَّهم تابوا بعد أن قَهَرتهم قوَّةُ اللّه، التي جاءت نصرًا للمؤمنين، وسَحقًا للكفَرَة المحاربين، "لقد كان أهل الطَّائف مِن ثَقيفٍ وهَوازنَ، أشدَّ النَّاس اغترارًا بقوَّتهم ومالِهم، وكانت فيهم غِلْظَةٌ وجفوةٌ دونَ غيرِهم مِنَ العرب، فلمَّا عَضَّتهم الحربُ، فَكَّروا في أمرهم مُسْترشدين"[3]، واللّهُ يقبل التَّوبةَ عن عباده، ويتوبُ على مَن يشاء مِن بعد ذلك.

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 8/5008 (بتصرُّف).
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/428.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3270.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، عنِ العذاب:

شِدَّةُ العَذابِ النَّازِلِ بِالْكافِرينَ، مَظْهَرٌ مِن مظاهر عدلِه المُبِين

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، جاءَ التَّعبيرُ بِاسْمِ الإشارَةِ الدَّالِّ على البُعْدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية الكريمة؛ إيماءً إلى عَظَمَةِ العذابِ[1]، الذي حلَّ بِهِمْ مِن قَبْلُ على أيْدي المُؤمِنينَ، وإيذانًا ببُعْدِ درجَتِهِ في الشِّدَّةِ والفظاعَةِ، وفيه إشارةٌ إلى عدم التَّصريح بذِكْر العذابِ مرَّةً ثانيةً؛ لأنَّ التَّوبة تمحو المعصية وأثرَها، وهذا مِنَ الجمال النَّفسيِّ الذى فيه مُراعاةٌ لمجيء إسلام هَوَازِنَ، بعد تلك الهزيمة النَّكراء.

بَلاغَةُ الإيجازِ بالحذف:

طَيُّ الكَلامِ الذي دَلَّتِ القَرينَةُ عليه؛ لونٌ مِنَ الاقتصادِ في الأَلْفاظِ

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، فيه إيجازٌ بالحذْفِ، حيثُ حُذِفَ مفعولُ المَشيئَةِ، والتَّقديرُ: (ثمَّ يتوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذلك على مَن يشاءُ أَن يَتوبَ عليه)، وإنَّما حُذِفَ اكتفاءً بدلالَةِ صَدْرِ الآيَةِ عليه، ذلك أنَّ مآل النَّاسِ في التَّوبة أو تَرْكِها مرتبطٌ بالمشيئة، والمعنى: أن يتوبَ عليه منهم لحكمةٍ تقتضيه، أي: يوفِّقَه للإسلام[2]، ومُفادُ ذلك: أنَّ اللهَ يقبل توبةَ مَن يشاء مِن عباده، فيغفرُ له زلَّتَه، ويمحو حَوْبَتَه، إذا رجع عن ذنبه ذلك مُخلِصًا، لأنَّ اللهَ عظيم المغفرة، واسع الرَّحمة[3].

سِرُّ التَّعبير بلفظ (التَّوبة)، عن دخولهمُ الإسلامَ:

الإسلام توبةٌ إلى الله، بالانصراف الكليِّ عمَّا سواه

في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، آثَر القرآنُ الكريم التَّعبير بالتَّوبة، عن هدايته لهم للإسلام؛ للإشارة إلى أنَّ ذلك كان بتوفيق اللهِ تعالى لهم؛ فهو الذي فتح لهم البابَ،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/428.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/56.
(3) لجنةٌ من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 262.

ولـمَّا كان «الإسلام يَجُبُّ ما قبلَه، والتَّوبةُ تَجُبُّ ما قبلَها»[1]، عبَّر بالتَّوبة للقاسم المشترَك بينَها وبينَ الإسلام، ولأنَّ الإسلامَ رجعةٌ من الكفر إلى الله، والتَّوبةَ رجعةٌ مِنَ الذَّنب إليه، وكلاهما لا معنى له إلَّا مع صِدْق التَّوجُّه، ومع قبول الطَّرف المرجوع إليه، كان هذا التَّشاركُ في المعنى هو علَّة استخدام لفظ (التَّوبة)، دليلًا على معنى الدُّخول إلى الإسلام، "وحين يعلمُ العاصي أنَّه لا مَلجَأَ له إلَّا اللهُ، فاللهُ ﷻ يفتح له بابَ التَّوبة"[2]، ولا شَكَّ أنَّ أكبر معصيةٍ يُطلَب منها التَّوبةُ، إنَّما هي الكفر، وأكبرَ توبةٍ تتجلَّى في الاعتقاد والعمل، إنَّما هي الإسلام.

دلالة التَّعبير بالحرف ﴿عَلَىٰ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، آثر التَّعبير بـ ﴿عَلَىٰ﴾ الَّتي تُفيد الاستعلاءَ على غيرها؛ للإشارة إلى امتنان الله تعالى على مَن تاب عليهم، وللدَّلالة على أنَّ أمر التَّوبة شرعٌ علويٌّ، ليس مِن اختصاصات البشر، والتَّوبةُ تتجدَّد بتوبة مَن تاب إلى الله في كلِّ الأزمنة، وهو قانونٌ سماويٌّ، يعامِلُ به اللهُ البشرَ، وعطاءٌ لا حولَ لهم فيه ولا قوَّةَ، ولكنَّ الله يُفيضُه عليهم مِن عليائه، ولا يستثني مِن ذلك أحدًا، وقد رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «قال اللهُ ﷻ: عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي، وَأَنا مَعَهُ إذا دَعاني، وَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِه، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ باعًا، وَإِنْ أَتاني يَمْشِي،

بـابُ الـلـهِ في القبول لا يُغْلَق عـلـى طـالـب السُّول

(1) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «يا عمرو بايع، فإنَّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبلَه، وإنَّ الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلَها» أحمد، المُسْنَد، برقم: (17812)، وعند مسلم في صحيحه: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلام يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهُ، وَأَن الهجرَةَ تَهدمُ مَا كَانَ قبلَها، وأَنَّ الحَجَّ يَهدِمُ مَا كانَ قبلَهُ»، برقم: (121).

(2) الشَّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 8/5008.

أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1]، واللَّهُ تعالى يُعامِل بمثل ذلك كلَّ عبدٍ كان على الكفر فأسلم، أو كان على الذَّنب فأحجم، فهو يتوب عليهم، ويتوبُ على مَن يشاء إذا شاء.

دلالة التَّعبير بـ ﴿مَن﴾:

آثر القرآن التَّعبير بـ ﴿مَن﴾، في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾؛ لإفادة العموم في أمر التَّوبة؛ فهي عامَّة، وليست قاصرةً على مَن أسلم مِن هَوازنَ وثَقيفٍ، بل هي شرع الله لكلِّ مَن خرج مِن شِرْكه وكُفْره إلى الإسلام، واللَّهُ يتوب على مَن يشاء، فهو "يعفو عنِ الذُّنوب العظيمة للتَّائبين، ويرحمُهم بتوفيقهم للتَّوبة والطَّاعة، والصَّفحِ عن جرائمهم، وقبولِ توباتهم، فلا ييأسَنَّ أحدٌ مِن مغفرته ورحمته، ولو فعل مِنَ الذُّنوب والإجرام ما فعل"[2].

الموصولُ الدَّالُّ على العمومِ، يُعَمَّم به معنى صلتِه بعدَه

نُكْتَةُ الإظْهارِ في مَوْضِعِ الإضْمارِ:

في قولِ اللَّهِ سبحانَه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، إظهارٌ في محلِّ الإضْمارِ، وذلكَ أنَّ مقتضَى الظَّاهِرِ أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وهو غفورٌ رحيمٌ)؛ لتقدُّمِ ذِكْرِ الاسْمِ الأعظم (اللَّه)، في قولِه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وظاهرٌ أنَّ غُفرانَ اللَّهِ متاحٌ في زمانه، وفي كلِّ عصرٍ مِنَ العصور، فصفاتُه تعالى صفاتٌ أزليَّةٌ خالدةٌ، لا تَحُوْل ولا تزول، والآية تُؤكِّد ذلك بِرُسوِّ المعنى وخلوده، وما فيها مِن معنى الكمال والبقاء والعَظَمَة.

تَفْخيمُ صِفَتَيِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ الصَّادِرَتَيْنِ عنِ اللهِ سبحانَه

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَتَيِ المُبالَغَةِ:

في بِناءِ اسْمَيِ اللَّهِ تعالى: (الْغَفور)، و(الرَّحيم)، مِن قولِ اللَّه ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، على أمثلَةِ المبالغَةِ دَلالَة على قوَّةِ المغفرَةِ وسَعَةِ الرَّحمَةِ وكثرَتِهما، فبِناءُ المبالَغَةِ مستعمَل باعتبار كثرَةِ المخاطَبينَ، وعِظَمِ المغفرَةِ والرَّحْمَةِ.

لا نهايةَ لعَظَمَةِ اللهِ ﷻ وغُفرانِه، ولا حدودَ لتسامي رحمتِه وإكرامه

(1) أحمد في المُسْنَد، برقم: (10229)، وابن حبَّان في الصَّحيح، برقم: (812).
(2) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 332.

دَلالَةُ خَتْمِ الآيَةِ بِاسْمَيِ: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

خُتِمَتِ الآيَةُ باسْمَيِ اللهِ سبحانَه: (الغفور) و(الرَّحيم)، فقال سبحانَه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وذلك لمناسبَةِ الاسْمَيْنِ لِسياقِ التَّوبةِ[1]، وللإعْلامِ بأنَّ من آثار تَوبةِ اللهِ ﷻ على عبادِهِ، أنْ يغفِرَ لهم ويرحمَهم.

مِنْ آثارِ تَوْبَةِ اللهِ تعالى على العِبادِ: غلبةُ مَغْفِرَتِهِ، وعمومُ رَحْمَتِه

بلاغةُ أسلوب التَّذْييلِ:

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، تذييلٌ جارٍ مَجْرَى المَثَلِ؛ لِاستقلالِهِ وعَدَمِ افتقارِهِ إلى ما قبلَهُ، والنُّكتَةُ في ذلك: تعظيمُ شَأنِ الوَصفَيْنِ اللَّذَيْنِ دَلَّ عَلَيهِما اسمَا اللهِ: (الغَفورُ) و(الرَّحيمُ)؛ وهُما المغفِرَةُ والرَّحمةُ، فَفُخِّمَ حالُهُما وَقدرُهما؛ إذ هُما صادِران ممَّن جمعَ صِفاتِ الجلالِ والجَمالِ والكمالِ، وفيهِ إيماء إلى عِظَمِ مغفرةِ اللهِ تعالى؛ لكونِها مغفرةَ شَديدِ الغُفرانِ، الرَّحيمِ بعبادِهِ، والجملَةُ واردَةٌ - أيضًا - تأكيدًا لما تقدَّمَ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، ولِإفادَةِ أنَّ مَغْفِرَتَهُ من شَأنِهِ سبحانَه، وأنَّهُ رَحيمٌ بالعِبادِ، إنْ رجعوا إليهِ وَأنابوا وتَرَكوا مساخِطَهُ[2].

مَغْفِرَةُ اللهِ تعالى وَرَحْمَتُهُ بالعِبادِ، منوطةٌ بالرُّجوعِ إليه، والإقْلاعِ عن مَساخِطِهِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المَغْفِرَة والرَّحْمَة:

الفَرْقُ بينَهما من أَوْجُهٍ؛ **أوَّلُها**: أنَّ أصلَ الغَفْرِ في اللُّغَةِ: السَّتْرُ[3]، وأصلَ الرَّحْمَةِ: الرِّقَّةُ والعَطْفُ[4]. **وثانيها**: أنَّ أحدَهما سببٌ في الآخَرِ، ومَالَ ابنُ عَرفةَ إلى أنَّ الرَّحمة سببٌ في المغفرة؛ لأنَّ الرِّقَّةَ والعطفَ تُوجِبانِ عادةً سَتْرَ الزَّلَلِ[5]، إلَّا أنَّ ظاهِرَ القرآنِ الكريم

ظاهِرُ القرآنِ الكريم، أنَّه غالبًا ما يَستعمِلُ المغفرةَ سببًا في الرَّحمة

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/428.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/159.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غفر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رحم).
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/435، 2/258.

عكسُه؛ وهو كونُ المغفرةِ سببًا في الرَّحمة، كما قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النَّمل: 46]. **وثالثُها**: أنَّ المغفرةَ والرَّحمةَ إذا جُمِعا في محلٍّ واحدٍ؛ انصرفَتِ المغفرةُ لسَتْرِ ما مضى مِنَ الذُّنوبِ، والرَّحمةُ لِلْعِصْمة مِنْها فيما يُستقبَلُ[1]، إذا كان ذلكَ جزاءً في الدُّنيا؛ لأنَّ الآخرةَ لا يُتصوَّرُ فيها ذُنوبٌ، حتَّى يُحتاجَ إلى العصمةِ منها. **رابِعُها**: أنَّ المغفرةَ فيها زَوالُ المَكْروه مِن آثار الذُّنوب، والرَّحمةَ فيها تحصيلُ المَطْلوب[2]. **خامسُها**: أنَّ المغفرة تخليةٌ، والرَّحمةَ تحليَةٌ، وأيضًا لأنَّ المغفرةَ سلامةٌ، والرَّحمةَ غنيمةٌ، وبهذا يكون للمغفرة معنًى يُميِّزها عنِ الرَّحمة.

(1) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول وأدلَّتها، ص: 19.
(2) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 3/66.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»